مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ كور ٤: ٦–١٥)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ الذي أمرَ أن يُشرِقَ من ظُلمةٍ نورٌ هو الذي أشرَقَ في قلوبنا لإنارةِ معرفةِ مجدِ اللهِ في وجهِ يسوعَ المسيح* ولنا هذا الكنزُ في آنيةٍ خزَفيَّةٍ ليكونَ فضلُ القوَّةِ للهِ لا منَّا* مُتضايقينَ في كُلِّ شيءٍ ولكن غيرَ مُنحصرين. ومُتحيِّرينَ ولكن غيرَ آئسين* ومُضْطَهدين ولكن غيرَ مخذولين. ومطروحين ولكن غيرَ هالِكين* حامِلينَ في الجسدِ كُلَّ حينٍ إماتةَ الربِّ يسوعَ لتظهرَ حياةُ يسوعَ أيضاً في أجسادِنا* لأنَّا نحنُ الأحياءَ نُسلَّمُ دائماً إلى الموتِ من أجلِ يسوعَ لتظهَرَ حياةُ المسيحِ أيضاً في أجسادِنا المائتة* فالموتُ إذاً يُجرى فينا والحياةُ فيكم* فإذْ فينا روحُ الإيمانِ بعينِهِ على حَسَبِ ما كُتِبَ إنّي آمنتُ ولذلك تكلَّمتُ فنحنُ أيضاً نؤمِنُ ولذلك نتكلَّمُ* عالمينَ أنَّ الذي أقامَ الربَّ

أحد الابن الشاطر

تدعونا الكنيسة في هذا الأحد الثاني من التريودي، والذي يسبق بداية الصوم الكبير بأسبوعين، إلى أن نقتدي على مستوى الوعي الروحي والمسعى الاجتهادي بالابن الشاطر المذكور في التلاوة الإنجيليّة، لكيما نعيش مراحل عودته إلى الآب، خلال أيام الصوم الأربعيني المقدّس التي ليست بصلواتها وترتيبها الطقسي سوى مجالاً لإحياء المَثَل الإنجيلي في حياة كلّ منّا.

ومسيرة الصوم بجملتها، بل الحياة المسيحيّة ككلّ، مطبوعة بمناخ سرّ التوبة. سائر كتبنا الطقسيّة تشهد، بشيء من الإلحاح، على أهميّة هذا السرّ، لدرجة القول بأن الليتورجية الأرثوذكسيّة، تسير في ظل التوبة. هذا الأمر يظهر بوضوح كبير في كتاب التريودي، الذي هو ذروة في الروحانيّة الليتورجيّة ومدرسة في التنقّي والرجاء.

فترة الصوم الأربعيني، منذ بداياتها التاريخيّة، ارتبطت بسرّ التوبة، ليس فقط نتيجة لتحضير الموعوظين للمعموديّة والدخول إلى الحياة بالمسيح يوم الفصح المقدّس، بل وأيضاً، بسبب الاعترافات الجماعيّة التي كانت تجري، خلال زمن الصوم، في الكنيسة الأولى. وكان التائبون عن زلاّت وخطايا جسيمة يتراجعون في بداية الصوم إلى الجناح الخلفي في الكنيسة حيث رواق الموعوظين ليقفوا مع مَن هُم في طور الاستعداد للمعموديّة، ولا ينضمّون إلى جماعة المؤمنين قبل الخميس العظيم، حين يشاركون في المناولة الإلهيّة، علامة مصالحتهم مع الجماعة في الكنيسة، و«الفرح العظيم» الذي «يحصل في السماء بخاطئ واحد يتوب» (لو ١٥: ٧). لذا ظلّ الصوم، في وجدان مؤلّفي التريودي وناظمي التسابيح الأرثوذكسيين، «وقتاً مقبولاً» (٢كور ٦: ٢) و«زماناً للتوبة».

كلمة التوبة metanoia تعني التغيير الكامل لنمط حياة الإنسان ولتفكيره عندما يريد العودة إلى الله. هي إدراك الإنسان الواعي لحالة الخطيئة التي

العدد ٨/٢٠٠٨

الأحد ٢٤ شباط

أحد الإبن الشاطر

وجود هامة يوحنا السابق

المكرّمة أولاً وثانياً

اللحن السادس

إنجيل السَحَر السادس

يسوعَ سيُقيمُنا نحنُ أيضاً بيسوعَ فننتصِبَ معكم* لأنَّ كلَّ شيءٍ هو من أجلِكم لكي تتكاثرَ النعمةُ بشُكرِ الأكثرينَ فتزدادَ لمجدِ الله.

الإنجيل

(لوقا ١٥: ١١-٣٢)

قالَ الربُّ هذا المثَل: إنسانٌ كان لهُ إبنان* فقال أصغرُهما لأبيهِ يا أبتِ أعطني النصيبَ الذي يخُصُّني من المال. فقَسَمَ بينهما معيشتَهُ* وبعد أيامٍ غيرِ كثيرةٍ جمعَ الإبنُ الأصغرُ كلَّ شيءٍ لهُ وسافرَ إلى بلدٍ بعيدٍ وبذَّرَ مالهُ هناك عائشاً في الخلاعة* فلمَّا أنفَقَ كلَّ شيءٍ لهُ حدثت في ذلك البلدِ مجاعةٌ شديدةٌ فأخذ في العوز* فذهبَ وانضوى إلى واحدٍ من أهلِ ذلك البلدِ فأرسلَهُ إلى حقولهِ يرعى خنازير* وكان يشتهي أن يملأَ بطنَهُ من الخرنوبِ الذي كانتِ الخنازيرُ تأكلهُ فلم يُعطِهِ أحدٌ* فرجعَ إلى نفسهِ وقالَ كم لأبي من أُجَراءَ يَفْضُلُ عنهم الخبزُ وأنا أهلِكُ جوعاً* أقوم وأمضي إلى أبي وأقولُ لهُ يا أبتِ قد أخطأتُ إلى السماءِ وأمامك. ولستُ مستحقًّا بعدُ أن أُدعى لك ابناً فاجعلني كأحَدِ أُجَرائِكَ* فقام وجاء إلى أبيهِ. وفيما هو بعدُ غيرُ

هو فيها، الذي يقوده إلى حركة من التركيز والعودة إلى الذات وتبديل الفكر، من أجل التحوّل والرجوع إلى الله، والذي يتأكّد باعترافه بخطيئته.

ولا بدّ للتائب من عبور محاكمة الضمير، الذي هو عطيّة إلهيّة للإنسان «كناموس بالطبيعة» (رو ٢: ١٤)، للتمييز ما بين الخير والشر. يؤكّد القديس اسحق السرياني أنّ حركات التوبة تظهر في الإنسان لمجرّد انتباهه وتركيزه على نفسه. والعودة إلى الذات تشكّل ضمانة العودة إلى الله بدموع التوبة ورجاء القيامة. أمّا التوبة فتجدُّدٌ لاتجاه القلب، وتحوّلٌ جذريٌ في النظرة إلى العالم، وعودةٌ إلى النفس، بعد الانعتاق من تشتّت الأهواء. الإنسان يستعيد الحركة الأصليّة لطبيعته، ويسارع إلى رفض الخطيئة، كما رفض الابن الشاطر طعام الخنازير. يلي ذلك الاعترافُ بندامة أمام الله.

أمّا هاجس تبرير الذات، وليد الكبرياء، الذي اكتنف الجدّين الأوّلين بعد مخالفتهما الوصيّة، فما هو إلاّ التعبير عن رفض الإنسان للتوبة و«مناهج الخلاص»، وإلقائه اللوم على سواه، وتفضيله لخبرة الانفصال عن الله. تبرير الذات يغلق أمامنا إمكانيّة الدخول في الطريق الروحيّة والعودة إلى فرح الفردوس.

الروحانيّة البيزنطيّة تنأى عن أي طابع «قاتم» للتوبة. فالسرّ هو استعلان فعل «المحبة الإلهية للبشر». أمّا ما يلازم السرّ من تأنيبٍ للضمير وإدراكٍ للعجز الذاتي عن بلوغ التعزية الحقيقيّة، فليسا مجرّد موقف سلبي استسلامي، بمقدار ما

هما عنصر استجماع الإنسان لذهنه المشتّت بالأهواء، ليلتئم حول الشوق إلى الله، ويقوم في نور الفصح الروحي. فالتوبة في التريودي مرادفة للقيامة ولاستعادة دعوة الكائن البشري. بالتدرّب على النهوض من الخطيئة خلال الصوم، يستبق المسيحي قيامة المسيح التي تصير مبدأ قيامته الخاصة يوم الفصح، إن كانت له توبة عميقة مخلصة. التوبة ولادة جديدة في الحياة التي لا نهاية لها. هي هذه «الولادة الثانية» والعودة إلى نعمة المعموديّة.

وحدَهُ الاعتراف يجعل التوبة فاعلةً. لذا يسعى المسيحي، في فترة الصوم، إلى نوع من الاعتراف المتواتر، حيث يجد ذاته، طيلة الصيام، في كشف صادق لأفكاره الأثيمة وأفعاله أمام أب روحي طبيب للنفس. المؤمن يتّخذ من السرّ قوّة روحيّة يلمسها في حياته اليوميّة، قوّة تحوّلٍ ورجاءٍ وفرح تبرز في عمق كيانه. لأن التوبة هي الرجوع، العبور من الظلمات إلى النور، والاستباق لفصح المسيح الذي يجيز المؤمنين «من الموت إلى الحياة ومن الأرض إلى السماء».

مجتمعاتنا غدت شديدة البعد عن هذا المفهوم المسيحي للتوبة والرجوع إلى الله. لكنّ الإنجيل اليوم ينادينا. يخبرنا أن الابن الشاطر الذي آثر العيش في الإسراف والبذخ بعيداً عن الآب السماوي الكلّي الصلاح، دون أيّ وعي أو تحسّسٍ لحقيقة حاله، حين شاهد الخنازيرَ تلتهم الخروب واشتهى أن يكون له شيء منه، «رجع إلى نفسه، وقال أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له أخطأت إلى السماء وقدامك، ولست

بعيدٍ رآهُ أبوهُ فتحنَّنَ عليهِ وأسرع وألقى بنفسه على عنقه وقبّلَهُ* فقال لهُ الإبنُ يا أبتِ قد أخطأتُ إلى السماءِ وأمامك ولست مستحقًّا بعدُ أن أُدعى لك ابناً* فقال الأبُ لعبيده هاتوا الحُلَّةَ الأولى وألبِسوهُ واجعلوا خاتماً في يدهِ وحِذاءً في رجليه* واتوا بالعِجْلِ المسمَّنِ واذبحوهُ فنأكُلَ ونفرَحَ* لأنَّ ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوُجِد. فطفِقوا يفرَحون* وكان ابنهُ الأكبرُ في الحقلِ. فلمَّا أتى وقَرُبَ من البيتِ سمعَ أصواتَ الغِناءِ والرقصِ* فدعا أحد الغِلمانِ وسألهُ ما هذا* فقال لهُ قد قدِمَ أخوك فذبحَ أبوك العجلَ المسمَّنَ لأنَّهُ لقيَهُ سالماً* فغضبَ ولم يُرِدْ أن يدخلَ. فخرجَ أبوهُ وطفِقَ يتوسَّلُ إليهِ* فأجاب وقالَ لأبيهِ كم لي مِنَ السنينَ أخدِمُكَ ولم أتعدَّ لك وصيَّةً قطُّ وأنت لم تُعطِني قطُّ جَدْياً لأفرحَ مع أصدقائي* ولمَّا جاءَ ابنُك هذا الذي أكلَ معيشتَك معَ الزواني ذبحتَ لهُ العجلَ المسمَّنَ* فقال لهُ يا ابني أنت معي في كلِّ حينٍ وكلُّ ما هو لي فهو لك* ولكن كانَ ينبغي أن نفرَحَ ونُسرَّ لأنَّ أخاك هذا كان ميْتاً فعاشَ وكان ضالاً فوُجِد.

مستحقاً أن أدعى لك ابناً» (لو ١٥: ١٨–١٩). أحسّ بسوء حاله وجسامة سقوطه، وأقرّ بواقعيّة وصدق بما جلبه على نفسه من شرّ، فوجد الطريق إلى الحياة.

أساس سرّ التوبة إدراكُنا الواعي لخطيئتنا ولسوء حالنا، ومسارعتنا بلهفة إلى المسيح المتحنّن. لذا يبعث لنا كتاب التريودي رسالة رجاء مؤكّداً بأنّ الآب ما زال ينتظرنا، وأنّه يخرج بشوق للقائنا حين نعود إلى البيت، وقد هيّأ لنا، اليوم، الحلّة الأولى والعجل المسمّن.

البار كاسيانوس الروماني

مَنْ يقرأ سير القديسين المحفوظة في الكنيسة يلاحظ ان بعض هذه السير أو معظمها فيها أمور كثيرة مشتركة أو متشابهة. هذا الأمر يجب أن لا يدفعنا إلى الملل من هذه السير بل إلى اكتساب اليقين أن الحياة الروحية مع المسيح وطريق القداسة هي واحدة وإن اختلفت أحياناً في الشكل. والكنيسة تحاول من خلال حفظها لسير القديسين أن ترشدنا دائماً إلى الطريق التي سلكها هؤلاء الأشخاص والتي أوصلتهم إلى الإلتصاق بالله، الأمر الذي أدّى إلى إعلان قداستهم. علماً أن الكثير من القديسين بقيت حياتهم مستترة في المسيح ولم تُعلن قداستهم في الكنيسة.

يتميَّز القديس البار كاسيانوس الروماني الذي رقد عام ٤٣٥ بما حققه في حياته إذ نقل نمط حياة الرهبنة المتبّع في الشرق وطبقه في الغرب، بعد ان جعله متلائماً مع طريقة حياة الغربيين التي كانت أقل قسوة من حياة أبناء الشرق.

وُلد القديس كاسيانوس في مقاطعة سكيثيا التي تقع جنوب نهر الدانوب حيث ترعرع وأكمل دروسه بنجاح. وإذ نما فيه التوق إلى حياة الكمال ترك عائلته وتوجه برفقة جرمانوس، الذي كان بمثابة أخ روحي له، إلى الأرض المقدَّسة حيث التحقا بأحد أديرة بيت لحم. بعد فترة من الزمن قررا الذهاب إلى براري مصر، رغبة منهما بعيش حياة الزهد والنسك بشكل أوفر، فأخذا بركة رئيس الدير الذي طلب منهما العودة.

في مصر حاول الصديقان الدخول إلى عمق الصحراء والتعلّم من الآباء النساك هناك عبر الاستماع إلى أقوالهم وتعاليمهم. لكنهما اكتشفا أنهما بحاجة إلى قضاء وقت طويل بقرب الآباء لإدراك تعاليمهم بالخبرة الروحية. وبما أنهما لم ينسيا وعدهما بالعودة سريعاً إلى بيت لحم، عرضا قضيتهما على الأنبا يوسف الذي أعطاهما بركة ليبقيا المدة اللازمة لهما حالاً إياهما من وعدهما السابق. هكذا يفعل القديسون. فهم يسألون عن مشيئة الله في كل أمر يقومون به.

بقي الصديقان مدة سبع سنوات في صحراء مصر تنقلا فيها من مكان إلى مكان واختبرا الحياة الروحية بكل جوانبها وكان أبرز ما تعلَّماه من بفنوتيوس الكاهن الذي قال لهما إنه لا يكفي الراهب أن يزهد في العالم مادياً ويتخلّى عن مقتنياته ليُقبل على النسك والصمت، بل عليه أن يتخلّى عن عاداته السالفة وأهوائه. تمرّس القديس كاسيانوس في الجهاد ضد

تأمل

طوبى لمن يعرف ضعفه، لأن هذه المعرفة تصبح أساساً وجذراً وبداية لكل صلاح. فعندما يعلم أحد بضعفه ويحس به إحساساً حقيقياً، يضبط نفسه ويشد ارتخاءها، هذا الإرتخاء الذي يشوِّش المعرفة، ويجعل لنفسه حصناً منيعاً. لا يقدر أحد أن يحس بضعفه ما لم يُسمح له بالتجربة، سواء في ما يؤلم الجسد أم النفس، وإذ يقارن معونة الله بضعفه يدرك عظمتها. أمّا إذا رأى أن أساليبه ووقايته وإمساكه لنفسه وحفظها لا تعطيه الثقة، أو أن قلبه ليس فيه سلام بسبب الخوف والرعب، فليعلم أن هذا دليل حاجته إلى معين آخر. لأن قلبه يدل على وجود خوف يصارعه في الداخل ويشير إلى نقص فيه يدل على أنه لا يقدر أن يعيش وحده بثقة، فمعونة الله هي التي تخلّصه (مز ١٢٠:٢). فإذا أدرك الإنسان أنه يحتاج إلى المعونة الإلهية عليه أن يضاعف صلواته. وبمقدار ما يضاعفها يزداد قلبه تواضعاً، لأن من يطلب ويسأل يتواضع رغماً عنه: «القلب المنسحق والمتواضع لا يرذله الله» (مز ٥٠). وما دام القلب فاقداً التواضع فلا يمكنه أن يتوقف عن التشتت، لأن التواضع يضبط القلب.

القديس اسحق السرياني

والشياطين وخاصة شيطان الضجر الذي يعذّب النساك بغية دفعهم إلى ترك خلوتهم.

مع انتهاء مدة السبع سنوات، عاد كاسيانوس وصديقه جرمانوس إلى بيت لحم إلى الدير الذي انطلقا منه. أعطاهما رئيس الدير الإذن بالعودة إلى برية مصر، ولكنهما لم ينعما بالهدوء في مصر، بسبب حملة الاضطهاد التي شنّها ثيوفيلوس الاسكندري على الرهبان، فانتقلا مع رهبان آخرين إلى القسطنطينية. كان ذلك حوالي العام ٤٠١.

في القسطنطينية التقيا بالقديس يوحنا الذهبي الفم الذي، بعد أن عرفهما، سام جرمانوس كاهناً وكاسيانوس شماساً.

أثارت كلمات القديس الذهبي الفم وعظاته إعجاب كاسيانوس فكان يصغي لها بانتباه شديد وحاول التعلّم منها.

بعد وقت قليل نُفي القديس يوحنا الذهبي الفم فانتقل كاسيانوس وجرمانوس في بعثة إلى رومية لينقلا إلى البابا إينوكنديوس الأول رسالة من الشعب والكهنة لدعم الذهبي الفم الذي نُفي ظلماً.

في رومية أمضى كاسيانوس عشر سنوات سيم خلالها كاهناً ثم انتقل إلى مرسيلية حيث أنشأ ديراً للرجال على اسم القديس فيكتور ودير المخلّص للعذارى. وقد جعل القديس كاسيانوس التعليم الذي تلقاه من الآباء الشرقيين مناسباً لشروط الحياة في الغرب ولطبيعة المناخ والسكان هناك.

كتب القديس كاسيانوس «المؤسسات الشركوية» و«اللقاءات» لمنفعة الرهبان في جنوب فرنسا في مرسيليا.

بقي القديس كاسيانوس أميناً لتعاليم الآباء الشرقيين والكبادوكيين والذهبي الفم، وواجه التعاليم الخاطئة. وقد اتُهم زوراً بالهرطقة، لكنه لازم الصمت ولم يبرر نفسه إلى أن رقد عام ٤٣٥. نال التكريم من الرهبان الغربيّين، واعتُبر من المعلّمين الكبار في الغرب، وحُفظت رفاته إلى اليوم في مرسيلية في الدير الذي أنشأه، دير القديس فيكتور.

سبت الأموات

في السبت الذي يسبق أحد مرفع اللحم رتبت الكنيسة المقدسة أن تُقام ذكرى للأموات الراقدين على رجاء القيامة. لذلك تُقام القداديس الإلهية في كافة كنائس الأبرشية صباح السبت ١ آذار ٢٠٠٨.

من أقوال الآباء

زار الأب اسحق الطيبي ديراً، فرأى أخاً يُخطئ ووبّخه على خطيئته. ولما خرج إلى البرية، جاء ملاك الرب ووقف أمام باب قلايته قائلاً: لن أدعك تدخل. فتوسل إليه قائلاً: ولأي سبب تمنعني من الدخول؟ أجابه الملاك: لقد أرسلني الله إليك قائلاً: قل له: أين تأمرني أن أضع الأخ الذي وبّخته؟ للحال ندم وقال: لقد خطئت سامحني. فقال له الملاك. انهض، لقد سامحك الله. وانتبه لنفسك ألاّ تدين أحداً قبل أن يدينه الله.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb